IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الثالث لكلية القانون - جامعة واسط للمدة من 17 - 18 نيسان 2024

التسامح الديني بين الأديان السماوية في مصر زمن الدولة الفاطمية

م. م. صابرين كريم عبد [1] ، م. م. حنين سليم علوان [2]

انتساب الباحثين
[1، 2] كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العراق، واسط، 52001

[1] sabreen100@uowasit.edu.iq
[2] haneenalwan@uowasit.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر : كانون الثاني 2025

المستخلص

لا نبالغ إذا قلنا أن هدف جميع الأديان والشرائع السماوية والمذاهب التي تفرعت عنها هو إرساء أسس التسامح الديني بين بني البشر على اختلاف أديانهم ومذاهبهم واحترام الإنسان بما هو إنسان بغض النظر عن معتقده، والدين الإسلامي الحنيف دين السلام والمحبة والتسامح يعتبر الإنسان قيمة عليا، فلا أكراه في الدين.

ومن يقرأ صفحات التاريخ العربي الإسلامي يجد نماذج مشرقة وتجسيد واضح عن اهتمام المذاهب الإسلامية بإشاعة ثقافة التسامح الديني، فالخلافة الفاطمية التي انتهج خلفائها سياسة تقوم على التسامح الديني وإرسائهُ بين مختلف مكونات وفئات المجتمع المصري الذي كان يضم العديد من الأقليات الدينية والمذهبية التي تمتعت بالحرية الكاملة في ممارسة عباداتها وطقوسها الدينية، ولم يقف الحكام الفاطميين على منح الحرية الدينية لا بل أن قصور الخلافة الفاطمية كانت تعج بالعلماء والمفكرين والتجار من أهل الذمة سواء من اليهود أو النصارى، كذلك تولى العديد من أهل الذمة مناصب سياسة رفيعة في الدولة الفاطمية وكان لهم دور كبير في إدارة الدولة... وبحثنا الموسوم(التسامح الديني بين الأديان السماوية في مصر زمن الدولة الفاطمية) يسلط الضوء على التسامح الديني بين الأديان السماوية الذي عملت الدولة الفاطمية في ترسيخ أسسهُ بين فئات المجتمع المصري آنذاك.

الكلمات المفتاحية: الفاطميون، الأقليات، الفئات، المكونات، التسامح

Religious Tolerance between the Monotheistic Religions in Egypt During the Fatimid State

Sabreen Kareem Abd [1] , Haneen Saleem Alwan [2]

Affiliation of Authors
[1, 2] College of Education for Human Sciences, University of Wasit, Iraq, Wasit, 52001

[1] sabreen100@uowasit.edu.iq
[2] haneenalwan@uowasit.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Jan. 2025

Abstract

We are not exaggerating when we say that the goal of all religions, divine laws, and the sects that branch from them is to lay the foundations of religious tolerance among human beings, regardless of their different religions and sects, and to respect the human being as a human being, regardless of his belief. The true Islamic religion, the religion of peace, love, and tolerance, considers the human being a supreme value, so there is no coercion In religion.

Whoever reads the pages of Arab-Islamic history will find honorable examples and a clear embodiment of the interest of Islamic sects in spreading a culture of religious tolerance. The Fatimid Caliphate, whose successors pursued a policy based on religious tolerance and established it among the various components and groups of Egyptian society, which included many religious and sectarian minorities that enjoyed complete freedom in The Fatimid rulers did not stop at granting religious freedom. Rather, the palaces of the Fatimid Caliphate were full of scholars, thinkers, and merchants from the people of the Dhimmah, whether Jews or Christians. Also, many of the Dhimmis held high political positions in the Fatimid state and had a major role in State administration ... and our research titled (Religious tolerance between the monotheistic religions in Egypt during the Fatimid State) sheds light on religious tolerance between the heavenly religions,the foundations of which the Fatimid State worked to consolidate among the segments of Egyptian society at that time.

Keywords: Fatimids, Sects, Groups, Coexistence, Tolerance

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد (ﷺ) وعلى آله وأصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد ...

أن التسامح يدل على قبول واحترام الآخرين الذين ينتمون إلى ديانات مختلفة أو يعتنقون معتقدات دينية مختلفة، يعتبر التسامح الديني جوهراً للسلم الاجتماعي والتعايش السلمي في المجتمعات

المتنوعة من الناحية الدينية،حيث يتمتع الجميع بحرية العبادة والتعبير عن معتقداتهم الدينية بدون خوف أو تهديد، وفي بحثنا سوف ندون أهم مظاهر التسامح الديني بين الأديان السماوية في مصر اثناء حكم الدولة الفاطمية لتلك البلاد، عاشت مصر مجتمعاً متنوعاً ذا تعدد ديني حيث كان هناك أهل الذمة المتمثلين باليهود والنصارى، وعلى الرغم من الاختلافات الدينية، فقد تمتعت هذه الأديان بدرجة عالية من التسامح والتعايش، وعلاوة على ذلك فإن الدولة الفاطمية كانت تتبع سياسة التسامح الديني تجاه رعاياها من الأديان السماوية الأخرى، لذا عاش المجتمع المصري في ظل هذا التسامح حياة تعمها الرفاهية والحرية، لاسيما أهل الذمة فقد مثل العصر الفاطمي لهم بمثابة السلم الذي ارتقوا فيه إلى اعلى المراتب، وقد منحتهم الدولة الفاطمية الحرية في ممارسة أعيادهم ومناسباتهم، وبذلك تمكنت الدولة الفاطمية من تعزيز التسامح الديني بين الأديان السماوية في مصر،كانت هذه الفترة مثالاً على كيفية يمكن للدولة أن تعزز التسامح الديني بين أتباع الأديان المختلفة في ظل إدارة فعالة وحماية حقوقهم الدينية.

وقسم البحث على مبحثين تطرق المبحث الأول منه إلى مفهوم التسامح لغةً واصطلاحاً، وتحدث الثاني عن مظاهر التسامح الديني مع أهل الذمة، وقد استخدمنا العديد من المصادر والمراجع التي أفادت موضوع البحث وكان أهمها كتاب (عيون الانباء في طبقات الأطباء) لابن أبي اصبيعة(ت: 668ه/1269م)، وكتاب(الخطط المقريزية) للمقريزي(ت: 845ه/1441م)،وكتاب(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لابن تغري بردي(ت: 874ه/1469م)، أما المراجع وكان أهمها كتاب(الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي) لمحمد حمدي المناوي، وكتاب(تاريخ الدولة الفاطمية) لمحمد جمال الدين سرور.

المبحث الأول: مفهوم التسامح لغةً واصطلاحاً

أولاً: لغةً: فقد وردت كلمة التسامح في اللغة في عدة معان منها "انها تعود إلى الفعل الثلاثي(سمح)، رجل سمح ورجال سُمحاء أي جواد"[1]، أيضاً ورد ذكرها في كتاب لسان العرب" ان السماح والسماحة، الجود، سمح سماحة وسموحة وسماحاً(جاد)"[2]،"وقد قالت العرب في ذلك:"عليك بالحق فأن فيه المسمحا، كمسكن، أي متسعاً"[3]،ان كلمة التسامح لطيفة لها معنى جميل في الحياة فأن المسامح كريم وفي الحديث القدسي[4]، في قوله عز وجل:"أسمحوا لعبدي كاسماحة العبادي"[5].

ثانياً: اصطلاحاً: عرف التسامح:"على انه نظرة فكرية تجاه العقائد والممارسات المختلفة وليس المتوافقة، وهو رؤية متحررة فكريا حيال تلك العقائد المغايرة لعقائد الشخص المتسامح أو ممارساته"[6]، وعرف أيضاً بأنه:" موقف من يقبل من الآخرين وجود طرق تفكير وطرق حياة كما لديه، فيصبح مبدأ التسامح توافقيا، ويكون الغرض منه ليس الأخذ بالممنوعات ولكن لوصول التوافقات"[7].

المبحث الثاني: مظاهر التسامح الديني مع أهل الذمة

برزت الدولة الفاطمية في العديد من النواحي من ضمنها التسامح الديني الذي ابداهُ الخلفاء مع الطوائف المختلفة ولم يفرضوا مذهبهم على فئات المجتمع المصري وانما اعطوا حرية التصرف بما لا يخرج عن أحكام الدين و الاداب العامة ، وتعاونهم معهم في تيسير أمور الحياة والدولة واستمالة قلوب رعاياهم بالتسامح والتواصل والعطاء وسوف نوضح ذلك من خلال العديد من المظاهر التي سيتم عرضها في هذا البحث:-

أولاً: تولية المناصب الإدارية

عند مجيء الفاطميين إلى مصر وهم أصحاب المذهب الشيعي الذي كان غريب على أهل مصر فكان أهل الذمة الأكثر تواجد فيها لذلك استعان بهم في إدارة شؤون الدولة ، فتقلدوا العديد من المناصب كالوزارة والدواوين والكتاب وتغلغلوا في وظائف الدولة ، ونرى ذلك عند دخول الخليفة المعز لدين الله إلى مصر سنة (362هـ/973م) اصدر عفوا شاملا عن المعتقلين من قبل جوهر الصقلي[8].

وأعطت الدولة الفاطمية لأهل الذمة العديد من المناصب الإدارية منهم يعقوب بن كلس اليهودي[9]، الذي خصه الخليفة المعز (341-365ه/952-975م) بالأمور المالية وإدارة ديوانه[10]، واستمر مدة خلافة المعز الفاطمي وانتقل إلى خدمة ولده العزيز بالله (365-386ه/975-996م) الذي تعاطف وتسامح مع أهل الذمة حتى أصبح يعقوب بن كلس أول وزراء دولته الذي قام بالعديد من الإصلاحات التي تخدم الدولة الفاطمية[11]، فعند مرضه حزن عليه المعز وزاره وقال له: "يا يعقوب وددت لو تباع فأبتاعك بملكي أو تفتدي فأفتديك فهل من حاجة توصى بها فبكى الوزير وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه قال له : اما فيما يخصني فلا فأنك لحقى من ان استرعيك واراف بمخلفى من ان اوصيك ولكني أقول لك فيما يتعلق بدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية

بالدعوة والسكة و لا تبقى على المفرج بن دغفل ابن الجراح متى امكنت فيه الفرصة"[12].

وكانوا الأطباء الذميين منزلة عند الخلفاء الفاطميين منهم الطبيب الإسرائيلي (موسى بن العيزار) الذي قدم من المغرب وخدم الخليفة المعز حتى أصبح من أطبائه الخاصين وحضي بالمكانة والرفعة أيامه [13]،وكذلك الطبيب أبو الفتح سهلان بن مقشر كان طبيب الحاكم بأمر الله (386-411ه/996-1020م) وكان العزيز يستطبه ويحترمه فعندما مرض بعث العزيز برسالة يتحمد له بالشفاء[14] وكان معروف بعطفه الشديد وبشهادة نصراني "كان العزيز يحب العفو ويستعمله"[15]،اما يوسف النصراني الذي عينه الخليفة العزيز بالله بطريركا على بيت المقدس[16].

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (386-411هـ /996 -1020م) أجمعت المصادر على ان غالبية رجال الدواوين و موظفي الدولة من أهل الذمة بشهادة المؤرخ الانطاكي إذ يرد قائلا:" كان سائر كتابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى إلا نفر يسير"[17].

ولي ابن عبدون النصراني ديوان الشام مع العديد من النصارى والمسلمين معه لمساعدته، ولكن ما لبث ان طمع في منصبه وعمد الحاكم على مصادرة أموال بعضهم واودعهم السجون ، لكن ابن عبدون تذلل إلى الخليفة في سبيل الافراج عنه واقناعه على العدول عن أمره فأجتمع بهم الحاكم يلتمسون العفو والصفح فأستقبلهم رسول الحاكم وأعاد الثقة والاطمئنان إلى نفوسهم[18].

كما كانت علاقة الحاكم بأمر الله بأطبائه من أهل الذمة علاقة ود وتقدير تنطوي على التسامح فمنحهم العطايا وقربهم إليه وادناهم من مجلسه كما زار البعض منهم أثناء مرضه وشمل أولادهم برعايته وأطلق لهم الأموال[19].

تولى الظاهر لإعزاز دين الله (411-427ه/1020-1035م) الخلافة كان صغير السن يبلغ السابعة عشر من عمره الذي أصبح تحت وصاية عمته ست الملك[20] التي كانت هي المدبرة لشؤون الدولة في تلك الفترة[21] لكنه استطاع ان يكسب عطف أهل الذمة ومحبتهم وتوضيح حسن نيته اتجاه موظفي الدولة وتربطه علاقة حسنة مع المسلمين وأهل الذمة[22]، وتسامح الخلفاء مع اليهود ففي خلافة المستنصر بالله (427-487ه/1035-1094م) تزايد وجود اليهود في قصر الخلافة حتى أصبحوا يترأسون دواوين الدولة منهم أبي سعيد التستري[23].

وتولى أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي كان يهوديا استوزره الخليفة سنة (436هـ/1044م) وكانت اسرته معروفة بالتجارة والصيرفة واشتغالهم بالعديد من المناصب ثم اعتنق الإسلام بعد ذلك[24] وعهد الخليفة العزيز بالله الى عيسى بن نسطورس نصراني من أقباط مصر الوزارة ثم الإشراف على دواوين الدولة حتى احكم سيطرة عليها[25].

ثانياً: منح الخلع والهدايا والألقاب

كان لسياسة التسامح الديني التي اتبعها الفاطميون إزاء أهل الذمة أثرها الكبير كطبقة اجتماعية عاشت في المجتمع المصري ، ومن اجل توثيق الصلات والعلاقات بين تلك الطبقات أجازوا لهم العديد من المنح والأموال والهدايا في شتى المناسبات ، إذ أرسل الخليفة العزيز بالله إلى الوزير يعقوب بن كلس عندما صار له ولد إذا بعث مهداً من صندل مرصع وثلاثمائة ثوب وعشرة آلاف دينار وخمسة عشر فرسا والكثير من الطيب[26]، كما ان الحاكم بأمر الله زار الطبيب ابن مقشر عند مرضه وانعم على أولاده بالأموال والهبات بعد وفاته[27].

وانعم عليهم وخاصة كبار رجال الدولة من الذميين بالألقاب دلالة على مكانتهم في الدولة فمنهم يعقوب كلس إذ لقب بالوزير الأجل[28] ولقب عيسى بن نسطورس بالكافي[29] ولقب أخوه صاعد بالأمير الظهير شرف الملك وتاج المعالي ذو الجدين[30].

ومنح الخليفة المستنصر بالله الفاطمي صدقة بن يوسف الفلاحي اليهودي لقب الوزير الأجل تاج الرياسة فخر الملك مصطفى أمير المؤمنين[31] ومنح للوزير التستري لقب العميد علم الكفاءة[32].

ثالثاً:الأعياد والمناسبات الدينية

وكانت الاحتفالات بأعياد أهل الذمة من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي الأول، فقد شارك الخلفاء الفاطميون وعامة المسلمين في الاحتفال في الكثير من هذه الأعياد ، واستفادوا من قيام الدولة الفاطمية في مصر بسبب التسامح الديني التي سار عليها الخلفاء الفاطميين، وسمح للنصارى ببناء وتعمير وإصلاح الكنائس والأديرة وأطلقوا الأموال للصرف على عمارتها وإعادة بنائها[33].

وقد تسامح الخلفاء الفاطميين مع أهل الذمة في ممارسة طقوسهم بحرية، وأن أعياد النصارى من الأقباط أربعة عشر عيداً سبعة يسمونها صغاراً والأخرى كباراً منها عيد البشارة هو بشارة جبرائيل بولادة السيد المسيح[34] وعيد الزيتونة وهو عيد الشعانين عند النصارى عيد التسبيح إذا أعطى حرية الاحتفال وتزيين الكنائس والخروج منها حاملين سعف النخيل أو الزيتون وكانوا الخلفاء يوفرون الحماية والأمن لهم والمشاركة معهم في الاحتفال[35]، واحتفلوا أيضا بعيد الفصح الذي عرف عند النصارى

بعيد القيامة اليوم الذي صلب فيه السيد المسيح[36] وكان نصارى مصر يحتفلون بالفصح احتفالاً عظيماً شارك المسلمين معهم هذا الاحتفال إلى جانب تواجد الخلفاء الفاطميين إذ يورد المقريزي عن الاحتفال بعيد الفصح سنة(425ه/1024م) في هذا العام احتفل بفصح النصارى فأجتمع بقنطرة المقس جماهير من النصارى والمسلمين ونصبوا خيمهم وقضوا النهار والليل في السهر واللعب، ويذكر أيضا أن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله شاهد الاحتفال وركب الموكب ودار حول المقس ثم عاد[37].

اما الأعياد الصغيرة خميس الأربعين عرف أيضا بعيد الصعود يعتقدون ان المسيح بعد أربعين يوما من قيامته خرج مع تلاميذه وصعد إلى السماء عند اكتمال ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فرجع التلاميذ إلى أورشليم ووعدهم باشتهار أمرهم وهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح[38].

من أهم الأعياد هو عيد الميلاد ولادة السيد المسيح ويحتفل بإيقاد الكنائس وتزينها وكان الفاطميين يفرق عليهم وعلى أرباب الدولة أنواع الحلوى وتزين الأسواق والحوانيت[39]، ويحتفلون أيضا في الحادي عشر من شهر كانون الثاني بعيد الغطاس في ان يحيى بن زكريا المعروف بيوحنا المعمداني عمد المسيح في بحيرة الأردن ، وعندما خرج المسيح من الماء اتصل به روح القدس فصار النصارى يغمسون أولادهم في الماء وفي هذا اليوم ينزلون اجمعهم لأداء الطقوس[40].

وفي ليلة الغطاس يركب متولي الشرط ويدور في الشوارع لمنع اختلاط المسلمين بالنصارى لإعطائهم الحرية وعدم تعكر صفوتهم من خروجهم كنيسة القديس ميخائيل إلى وصولهم إلى شاطئ نهر النيل إلى حين عودتهم إلى كنيستهم[41]، يذكر الانطاكي ان الخليفة الحاكم بأمر الله كان يحضر احتفالات النصارى بليلة الغطاس في الكثير من الأعوام يشاهد ما يقوم به النصارى من شعائر دينية [42]، وفي سنة 415هـ عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بإقامة عيد الغطاس شارك فيه أهله وكبار رجالات الدولة وأمرهم بإيقاد النار والمشاعيل ليلا وحضر الرهبان و ادوا مراسيم الاحتفال وكانت الزوارق والمراكب النيلية تملئ نهر النيل ، وكانت ترسل الهدايا إلى رؤساء الأقباط بشتى أنواعها[43].

اما فيما يخص الأعياد الصغار عيد خميس العهد يحتفل النصارى وسنتهم ان يقوم البطريك بغسل أرجل النصارى اعتقاد ان السيد المسيح فعل هذا مع تلامذته ليعلمهم التواضع وكان العامة من أهل مصر يسمونه خميس العدس حيث يطبخ النصارى العدس على ألوان شتى[44] ، وعمد الخلفاء الفاطميين على ضرب خمسمائة دينار من خراريب ذهب تفرق على أرباب الدولة من المسلمين والمسيحيين[45].

رغم الممارسات التي كان يقوم بها النصارى المخالفة وارتكاب المحارم قام بعض الخلفاء الفاطميين بالتشدد عليهم إلا أنهم يرجعون إلى مسامحتهم وإعادة النظر في أحوالهم [46]، اما من أشهر الأعياد عند النصارى هو عيد النوروز أول السنة القبطية ويعني اليوم الجديد[47]، إذ يحتفلون بإيقاد النار وتزين الشوارع وممارسة الألعاب ويتهادون فيما بينهم إذ عمد الخليفة الحاكم بأمر الله على إهداء القواد وكبار رجال الدولة الكثير من الخيل والسلاح[48]، حيث يصف ابن المأمون قائلاً: "وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطرز وثغرة الإسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسوارج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوة الرجالية و النسائية و العين و الورق وجميع الأصناف والأرباب ..."[49].

كما صرح الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بالكثير من الأعياد الدينية لأهل الذمة حتى أصبحت أعياد قومية في مصر حتى أحصى احد المؤرخين عنها مائة وثمانية وسبعين عيدا وموسماً موزعة حسب ترتيب الشهور القبطية كما انفرد أقباط مصر بالاحتفال ببعض هذه الأعياد والمواسم كما جرت العادة [50].

لم يقتصر الاحتفالات على النصارى وإنما شملت أيضا أعياد اليهود منها عيد رأس السنة اليهودية[51]، وعيد صوماريا الصوم الأكبر عند اليهود[52]، وعيد المظلمة يجلسون تحت ظلال النخيل وأشجار الزيتون وسائر الأشجار الأخرى ويصومون فيها تذكاراً منهم لإظلال اباءهم في التيه يوم القيامة[53] وعيد الأسابيع ويعتقد اليهود انه في هذا اليوم خاطب الله بني إسرائيل من طور سيناء مع موسى عليه السلام ونزلت على بني إسرائيل الفرائض والوصايا العشر[54].

إلى جانب أعياد اخر يعتقدون ان التوراة نصت عليها هما عيد الفوز وعيد الحنكة[55]،وهناك أعياد أصبحت قومية شارك فيها كل فئات المجتمع الفاطمي وهو عيد وفاء النيل وكسر الخليج موسم ارتفاع نهر النيل ، إذ احتفل الخليفة العزيز بالله وشجع الأهالي من شتى الطوائف الاحتفال به[56].

ويورد الرحالة الفارسي ناصر خسرو عند ارتفاع نهر النيل يعمد الخليفة ركوب الخليج موشى بالذهب والجواهر ويدقون الطبول والكوس ليخرج الناس محتفلين وتوزع عليهم شتى أنواع الحلويات والملابس والأطعمة الشهية[57].

رابعاً:سياسة الفاطميين مع المسيحيين واليهود

تمتع المسيحيون في ظل الدولة الفاطمية بحرية ممارسة شعائرهم الدينية فأجمعت المصادر على ان الخليفة المعز لدين الله كان

متسامحا إزاء أهل الذمة ولم يتدخل في شؤون الكنيسة وأقام علاقات ودية مع رجالها ، وكانوا يحضرون مجالس الخلفاء وتجري بينهم المناقشات الدينية هذا ساعد على دعم روح التسامح الديني واستمر ذلك إلى خلافة العزيز بالله الذي شمل جميع المسيحين برعايته وعطفه وقلدهم المناصب العليا و تزوجه من نصرانية على المذهب الملكاني ، وأنجب منها ابنته المعروفة بست الملك حتى أصبحت لها النفوذ الكبير في قصر الخلافة[58].

وفي خلافة الحاكم بأمر الله لم يتدخل في تعيين البطريك للكنيسة القبطية وإعطاءهم حرية انتخاب بطريك اليعاقبة، اما في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله لم يتدخل أيضا بانتخاب البطاركة فعندما خلا مكان بطريك الروم بالإسكندرية أصبح المنصب فارغاً لحين اجتماع القساوسة وتم اختار احد الرهبان الأنباط جورجيوس وأرسلت ست الملك هدايا قيمة من الثياب و التحف الفضية [59] ، واستمرت العلاقات طيبة حتى في سنوات الأولى من خلافة المستنصر بالله ، كما أباحت لهم بناء الكنائس وأديرة و تجديد عمارة الكنائس القديمة [60] وأذن المعز ببناء كنيستين اعترض بعض مشايخ المسلمين لذلك عمد المعز على توفير الحراسة للعمال والبنائين[61].

وهناك حادثة توردها المصادر عند تعرض المسلمين كنيسة القديس ميخائيل ، فعاقب الخليفة العزيز كل من أشرك في القتل ونهب الكنائس وأمر بإرجاع كل ممتلكات الكنيسة [62] اما بخصوص الأديرة التي كانت منتشرة في كل أنحاء مصر ونعم رهبانها بسياسة التسامح الديني ، فمنذ دخول جوهر الصقلي أمر بترميم دير الخندق ونقل رفاث موتى النصارى إلى الدير احترام مشاعر النصارى [63] كما عمد الخليفة المعز لدين الله بترميم الأديرة في سائر أقاليم مصر وفي خلافة العزيز نعم الرهبان ودير النصارى بالأمن والطمأنينة طوال فترة خلافته [64].

رغم العلاقة المتوتر التي عاشها المسيحيون في عهد الحاكم بأمر الله اصدر قبل اختفائه سنة (411هـ) مرسوم بالعفو الشامل لكل المسيحيين وتعاطف مع الرهبان وتم أعادة فتح الكنائس والأديرة وإرجاع الأوقاف وإرجاع العمل بتجديد بعض الأديرة ،وزاره العديد من الكنائس والأديرة [65] وهكذا استطاع الخليفة الحاكم إرجاع سياسة التسامح الديني بإطلاق الحرية الدينية لأهل الذمة بإقامة شعائرهم الدينية و إعطائهم حرية التعبد في الكنائس والأديرة، استمرت هذه السياسة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله بترميم الكنائس واصدر مرسوماً يؤكد على استمرار الحرية الدينية لأهل الذمة وإبقاء كلنا على دينه وأعطى لهم الحرية والأمان[66].

اما في خلافة المستنصر بالله الفاطمي نعم الرهبان بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ولم تتعرض لهم بأي أساء بوصف الرحالة ناصر خسرو قائلاً:" يقيم بها كثير من القسس والرهبان ويقرأون الإنجيل ويصلون ويشتغلون بالعبادة ليل نهار"[67]، لم يقتصر الاهتمام بالكنائس المسيحية كان اليهودية نصيب منها فيورد المقريزي العديد من الكنائس المنتشرة بمصر منها كنيسة المصاصة وكنيسة الشاميين وكنيسة الربانيين[68]، ونعموا بسياسة التسامح كما ذكرنا سابقا من حيث تولية المناصب الإدارية وأيضا حرية ممارسة شعائرهم وان كنائسهم لم تتعرض لأي ضرر[69].

اما في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (495-524ه/1101-1130م) اتسمت الأحوال بالهدوء والتسامح وارتفع أهل الذمة منهم الراهب أبو نجاح ابن قنا الذي ولاه الخليفة رياسة الدواوين ومن عادة زيارة رهبان النصارى والإقامة في ضيافتهم وأطلق يدهم في تجديد كنائسهم[70].

ان أهل الذمة تمتعوا بالحرية في حياتهم الدينية والدنيوية ، وكانت إقامة البطريك القطبي أو الملكاني تتم في هدوء وسلام دون اعتراض من جانب الخلفاء الفاطميين الذين اشتهروا بحبهم للذميين وتقريبهم لهم وعد عصرهم من أزهى العصور التاريخية بالنسبة لأهل الذمة في تاريخ مصر الإسلامية[71].

وكانت الدولة الفاطمية في أواخر عهدها حريصة على توفير الأمان والاستقرار لرعاياهم من أهل الذمة ورفع الظلم عنهم تجلى ذلك في حادثة إصدار الخليفة الفائز بنصر الله (549-555ه/1154-1160م) مرسوماً إلى موظفيه في شبه جزيرة سيناء يأمرهم باستعمال الرحمة مع رهبان دير طور سيناء ،وهذه الوثيقة تعطي مثالاً لسياسة الدولة الفاطمية تجاه أهل الذمة واستجابتها لمطالبهم ورغبة الخلفاء في الإحسان و العطف على رجال الدين منهم [72].

اما اليهود فكان لهم رؤسائهم الدينيون أطلق عليهم الناجد وتسمى بالعربية رئيس اليهود مهمته رئاسة المجتمع اليهودي[73]، وظهرت هذه الوظيفة في العصر الفاطمي كان مهمته الحرص على الطائفة اليهودية والسماح لهم بالسير في الطرقات و خصصت مدافن لهم مستقلين عن الآخرين، من هذه الوظيفة مارس اليهود حرياتهم ونظمت أحوالهم دون المماس بهم ، حتى كانت لهم محاكم خاصة بهم لم يتدخل الخليفة بها[74]، وجددت كنائس وأديرة في خلافة الحافظ لدين الله (524-544ه/1130-1149م) والآمر بأحكام الله (495-524ه/1101-1130م) واستخدمها الأقباط على نطاق واسع[75]، وحظى دير نهيا باهتمام الخلفاء الفاطميين الذين ترددوا عليه كثيرا ودير طمويه الذي قصده كثير من الخلفاء الذي عد من احد منتزهات مصر المشهورة [76]،كان اليهود خلال العصر الفاطمي يمارسون نشاطهم التجاري في حرية من جميع أنحاء الدولة وخاصة في الإسكندرية التي كانت من أهم المراكز التجارة

الداخلية والخارجية ،حتى أصبح عددهم في أواخر الدولة الفاطمية حوالي ثلاثة آلاف يهودي[77]، ومن اجل توثيق العلاقات واستبداد الأمن حرص الخليفة الحافظ على الالتقاء مع بطريك الأرمن لمناقشة الأحوال السياسية والاجتماعية[78].

يقول آدم متز ان الخلفاء الفاطميين قد اظهروا تسامحا نعجب له إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثلهم لهم مذهب خاص الذي انفردوا به وخالفوا جمهور المسلمين وكان أطباء الخلفاء من اليهود الذين لم يحتاجوا إلى تغيير دينهم ولم يضطرهم احد إلى ذلك وقد عظم نفوذ اليهود في بلاط المعز إلى حد كبير فصار لا يعمل شيئا إلا بمعونتهم وإبداء رأيهم [79].

ومن خلال تلك المظاهر نستشف مدى التسامح التي أظهرته الدولة الفاطمية إزاء أهل الذمة باختلاف طوائفهم وهذا مرتبط بالواقع السياسي وأيضا راجع إلى أهل الذمة أنفسهم.

الخاتمة

تمخضت عن هذه الدراسة مجموعة من النتائج أبرزها :-

1. كشفت الدراسة أن الدولة الفاطمية اتبعت سياسة التسامح الديني تجاه رعاياها من الأديان السماوية الأخرى.
2. ذكرت الدراسة المناصب السياسية الرفيعة التي منحت لأهل الذمة في الدولة الفاطمية.
3. أوضحت الدراسة أن لسياسة التسامح الديني التي اتبعها الخلفاء الفاطميون إزاء أهل الذمة أثرها الكبير كطبقة اجتماعية عاشت في المجتمع المصري ومن أجل توثيق الصلات والعلاقات بين تلك الطبقات أجازوا لهم العديد من المنح والأموال والهدايا في شتى المناسبات.
4. بينت الدراسة مدى الحرية التي منحتها الدولة الفاطمية لرعاياها من الأديان السماوية الأخرى في ممارسة أعيادهم ومناسباتهم.
5. أوضحت الدراسة مدى تمكن الدولة الفاطمية من تعزيز التسامح الديني بين الأديان السماوية في مصر في ظل إدارة فعالة وحماية حقوقهم الدينية.

الهوامش

(1) الفراهيدي،العين،ج2/ص272.

(2) ابن منظور، لسان العرب،ج6/ص489؛ الفيومي، المصباح المنير،ص227.

(3) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية،ج1/ص554؛ الزبيدي، تاج العروس،ج1/ص486.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم،ص217؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري،ص807.

(5) ابن حنبل، المسند،ج6/ص116.

(6) مليكان، التسامح وجذور التسامح،ص81.

(7) علبي،التسامح والثقافات، ص300.

(8) وهو رومي الأصل صقلي النشأة ولد سنة (300ه/912م) في جزيرة صقلية أحدى جزر الدولة الرومانية، وقد ترعرع بين موالي المعز وقربه لموهبته الفذة وثقافته الواسعة، ومن ثم أتخذه كاتباً له ولقبه بالكاتب في سنة (341ه/952م)، ثم رقاه إلى منصب الوزارة في سنة (436ه/1044م)، وكان له أثر في توطيد أركان الدولة الفاطمية في كل من المغرب ومصر. ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر،ج6/ص138؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج4/ص29؛ ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية،ص94-95؛ الزركلي، الأعلام،ج3/ص148.

(9) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم وزير الخليفة العزيز بالله كان يهودياً،فاسلم عرف عنه حبه للعلم واشتهر بالفطنة والذكاء، توفي سنة (٣٨٠هـ/990م).ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧/ص ٢٧-٣٥.

(10) المقريزي، الخطط المقريزية ،ج2/ص268.

(11) المقريزي،الخطط المقريزية،ج2/ص5.

(12) مسكويه، تجارب الأمم،ج7/ص221.

(13) ابن أبي اصيبعة ،عيون الانباء في طبقات الأطباء،ص545.

(14) ابن أبي اصيبعة،المصدر نفسه،ص549؛ ابن العبري،مختصر تاريخ الدول ،ص254.

(15) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ،ج2/ص131.

(16) ابن أبي اصيبعة ،عيون الانباء في طبقات الاطباء ،ص545.

(17) تاريخ ، ص203.

(18) المقريزي،الخطط المقريزية،ج3/ص30.

(19) ابن أبي اصيبعة ،عيون الانباء في طبقات الاطباء ص549.

(20) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج4/ص195.

(21) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية ،ص84.

(22) النويري، نهاية الارب،ج28 /ص216-221.

(23) زكار، تاريخ دمشق ،ج1/ص161،144.

(24) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، 56-58.

(25) المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1/ص252.

(26) القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص438.

(27) المقريزي ، الخطط المقريزية،ج3/ص11.

(28) الانطاكي ، تاريخ ،ص 196.

(29) المناوي ، الوزارة والوزراء ،ص250.

(30) النويري ، نهاية الارب ،ج28/ص216.

(31) المقريزي ، المقفى الكبير،ج3/ص161.

(32) محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول ،ص9.

(33) النويري ، نهاية الارب، ج1/ص191.

(34) المقريزي،الخطط المقريزية،ج2/ص27؛ المأمون ، نصوص في اخبار مصر ،ص95.

(35) ابن اياس، نزهة الأمم،ص235.

(36) اتعاظ الحنفا ،ج2/ص127.

(37) المقريزي،الخطط المقريزية، ج2/ص28.

(38) المصدر نفسه ،ج2/ص29.

(39) المصدر نفسه،ج2/ص29.

(40) الانطاكي، تاريخ ،ص196.

(41) المصدر نفسه،ص196.

(42) ابن اياس، نزهة الأمم ، ص238.

(43) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج2/ص 456.

(44) المقريزي ، الخطط المقريزية، ج2/ص31.

(45) المقريزي،اتعاظ الحنفا ،ج1/ص272؛ الانطاكي، تاريخ ،ص202.

(46) المقريزي،الخطط المقريزية،ج2/ص33.

(47) المقريزي، اتعاظ الحنفا ،ج2/ص18.

(48) نصوص في اخبار مصر ، ص65.

(49) القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج2/ص430.

(50) النويري، نهاية الارب،ج1/ص195.

(51) المصدر نفسه،ج1/ص195.

(52) القلقشندي ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج2/ص464.

(53) المقريزي ، تاريخ اليهود وأثارهم في مصر ،ص140.

(54) المصدر نفسه،ص96.

(55) القلقشندي ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج4/ص48.

(56) سفرنامه ،ص81.

(57) حسن، تاريخ الإسلام ،ج3/ص448.

(58) الانطاكي ، تاريخ ص230.

(59) ارنولد ،الدعوة إلى الإسلام ،ص84.

(60) عنان، مصر الإسلامية ،ص77-78؛ تاجر، أقباط ومسلمون ، ص104.

(61) الانطاكي ،تاريخ ،ص178.

(62) المقريزي، الخطط المقريزية،ج2/ص506.

(63) تاجر ،أقباط ومسلمون ،ص107.

(64) الانطاكي، تاريخ ،ص354.

(65) المصدر نفسه ،ص388.

(66) سفرنامه،ص76.

(67) الخطط المقريزية ،ج4/ص373-374.

(69) سلطان،الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ،ص100-103.

(70) النويري، نهاية الارب،ص292.

(71) عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية ، ص202-203.

(72) سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص108.

(73) القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5/ص472.

(74) المصدر نفسه،ج11/ص89-90.

(75) الشابشتي،الديارات، ص284-299.

(76) الحموي ، معجم البلدان ،ج2/ص539؛ المقريزي،الخطط المقريزية،ج4/ص428.

(77) سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي،ص107.

(78) عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية،ص461.

(79) الحضارة الإسلامية،ج1/ص112.

المصادر

- ابن أبي اصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس.عيون الانباء في طبقات الاطباء،دار مكتبة الحياة: د.ت.
- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله،كنز الدرر وجامع الغرر(الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطميّة)،القاهرة، 1961م.
- الانطاكي، يحيى بن سعيد. تاريخ أو صلة كتاب اوتيخا، بيروت،1909م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي أبو البركات. نزهة الأمم في العجائب والحكم.القاهرة:مكتبة المدبولي، 1995م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية العامة للنشر، د.ت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت:دار الكتاب العلمية،د.ت.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي الشافعي.فتح الباري في شرح صحيح البخاري، بيروت: دار صادر، 2010م.

- ابن حنبل، احمد بن محمد بن حنبل بن أسد. المسند،القاهرة:مؤسسة قرطبة، د.ت.
- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله.معجم البلدان، بيروت: دار احياء التراث العربي، 1979م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت: دار صادر،د.ت.
- خسرو، ناصر.سفرنامه،دار الكتاب الجديد، 1983م.
- الزبيدي، محمد المرتضى الحسن. تاج العروس، بيروت، د.ت.
- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد.الديارات ،كوركيس عواد، بغداد:المعارف،1966م.
- ابن العربي، غريغوريوس الملطي.مختصر تاريخ الدول ،ايران، 1377هـ /1957م.
- الفراهيدي،الخليل بن احمد.العين، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- الفيومي،احمد بن المؤي. المصباح المنير، بيروت: الدار النموذجية،1420ه/1999م.
- أبو الفداء،الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي.المختصر في أخبار البشر، بيروت :دار المعرفة للطباعة،د.ت.
- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي التميمي. ذيل تاريخ دمشق، دمشق: دار حسان، 1982م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي.صبح الأعشى في صناعة الإنشا، بيروت:دار الكتب العلمية، د.ت.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني.أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ليبزج، 1903م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي. تفسير القرآن الكريم، د.ط، 1999م.
- المأمون،جمال الدين أبو علي بن موسى.نصوص في أخبار مصر،القاهرة، 1983م.
- مسكويه، احمد بن محمد.تجارب الأمم،دار سروش للطباعة والنشر، 2001م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر.اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء،القاهرة 1996م.
- تاريخ اليهود وأثارهم في مصر، القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.
- المقفى الكبير، بيروت: دار المغرب الإسلامي، 2006م.
- الخطط المقريزية_المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية،1997م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب.نهاية الارب في فنون الأدب، وزارة الثقافة المصرية القاهرة،د.ت.
- ارنولد، توماس.الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ،مكتبة النهضة المصرية،1971م.
- تاجر، جاك.أقباط ومسلمون،القاهرة:مؤسسة هنداوي للتعليم،2013م.
- حسن، إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،د.ت.
- زكار، سهيل. تاريخ دمشق،دمشق: دار التكوين،2007م.
- الزركلي، خير الدين.الأعلام(قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.
- سلطان، عبد المنعم عبد المجيد.الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي،القاهرة:دار الثقافة العلمية،1999م.
- سرور، محمد جمال. تاريخ الدولة الفاطمية،القاهرة:دار الفكر العربي،1995م.
- عامر، فاطمة مصطفى. تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ت.
- علبي،عاطف.التسامح والثقافات،مجلة التسامح، إصدار الأوقاف والشؤون الدينية، العدد 1442، 5ه/2002.
- متز، آدم.الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، بيروت: دار الكتب العربي،1947م.
- محمود، سلام شافعي.أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1995م.
- المناوي، محمد حمدي.الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي،القاهرة، 1970م.
- ماجد، عبد المنعم. ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر- التاريخ السياسي،القاهرة:دار الفكر العربي،1994م.
- مليكان، مصطفى.التسامح وجذور التسامح، بغداد:مركز فلسفة الدين،2005م.